هذا سؤال ورد على الشيخ الامام مفتي الديار النجدية
وحامي حمى الملة الحنيفية الشيخ عالم بن عثمان

وفريد عصره عبد الله بن
عبد الرحمن ابي بطين
رحمه الله وعفى عنه قال ما يلي

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قولكم دام فضلكم في تعريف العبادة وتعريف توحيد العبادة
وانواعه وتعريف الاخلاص وهاتين الثلاثة من العموم
والخصوص وهل هو مطلق او وجهي وما معنى الاله وما معنى
الطاغوت الذي امرنا باجتنابه الجواب الحمد لله رب
العالمين اما العبادة في اللغة فهي الذل يقال بعير معبد اي مذلل
وطريق معبد اذا كان مذللا قد وطئته الاقدام وكذلك الدين
ايضا من الذل يقال دنته فدان اي ذللته فذل واما تعريفها
في الشرع فقد اختلفت عبارات المعبرين عن تعريفها والمعنى واحد
فعرفها طائفة بقولهم هي ما امر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا
اقتضاء عقلي وعرفها طائفة بانها كمال الحب مع كمال الخضوع وقال
ابو العباس رحمه الله تعالى هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه
من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والزكاة و
الصيام والحج وصدق الحديث واداء الامانة وبر الوالدين
وصلة الارحام والوفا بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين
والمملوك من الادميين والبهائم والدعا والذكر والقراءة
وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية
الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه

والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه
وامثال ذلك فالدين داخل في العبادة انتهى وتعرفها
بالحب مع الخضوع فلان الحب التام مع الذل التام يتضمن
طاعة المحبوب والانقياد له فالعبد هو الذي ذلله الحب
والخضوع لمحبوبه فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون
طاعته له فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك
له والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى
الحب فهي تتضمن غاية الذل بغاية المحبة له كما قال ابن القيم
رحمه الله تعالى اهـ

٥ ليس العبادة غير توحيد المحبة مع خضوع القلب والاركان ٥
٥ والحب نفس وفاقه فيما يحب ويقضي ما لا يرتضي يجان ٥
٥ ووفاقه نفس اتباعك آمره والقصد وجه الله ذي الاحسان ٥

فعرف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح
فمن احب شيئا خضع له فقد تعبد قلبه له فلا تكون المحبة
المنفردة عن الخضوع عبادة ولا الخضوع بلا محبة
عبادة فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة فلا يكون
احدهما عبادة بدون الآخر فمن يخضع لانسان مع بغضه
له لم يكن عابدا له ولو احب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا
له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي احدهما في
عبادة الله تعالى بل يجب ان يكون الله احب الى العبد من كل شيء
وان يكون الله اعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة
الكاملة والذل التام الا الله سبحانه اذا عرف ذلك
فتوحيد العبادة هو افراد الله سبحانه بانواع العبادة
المتقدم

المتقدم تعريفها وهو نفس العبادة المطلوبة شرعا ليس احدهما اعم
من الآخر ولهذا قال ابن عباس كلما ورد في القرآن من العبادة فمعناه
التوحيد وهذا هو التوحيد الذي دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار
به المشركون **واما** العبادة من حيث هي فهي اعم من كونها توحيدا
عموما مطلقا فكل موحد عابد لله وليس كل من عبد الله يكون
موحدا ولهذا يقال عن المشرك انه يعبد الله مع كونه مشركا كما قال
الخليل صلى الله عليه وسلم افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وابآؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال عليه السلام اني براء مما تعبدون
الا الذي فطرني فانه سيهدين فاستثنى الخليل ربه من معبود يهم
فدل على انهم يعبدون الله سبحانه فان قيل ما معنى النفي في قوله
ولا انتم عابدون ما اعبد **قيل** انما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف
والثبوت لم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد
وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في بدائع
الفوائد فقال لما انجر كلامه على سورة قل يا ايها الكافرون
واما المسئلة الرابعة وهو انه لم يات النفي في حقهم
الا باسم الفاعل وفي جهة جاء بالفعل المستقبل تارة وباسم
الفاعل على اخرى وذلك والله اعلم لحكمة بديعة وهي ان المقصود
الاعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت فاتى اولا
بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ثم اتى في هذا
النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت
فافاد في النفي الاول ان هذا لا يقع مني وافاد في الثاني ان
هذا ليس وصفي ولا شاني فكانه قال عبادة غير الله لا تكون
فعلا لي ولا وصفا فاتى بنفيين مقصودين بالنفي واما

في حقهم فانما اتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل اي
الوصف الثابت اللازم للعابد سبحانه منتف عنكم فليس هذا الوصف
ثابتا لكم وانما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها
احدا وانتم لما عبدتم غيره فلستم عابديه وان عبدوه في بعض الاحيان
فان المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره كما قال اهل الكهف واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله اي اعتزلتم معبوديهم الا الله فانكم لم تعتزلوه
وكذا قول المشركين عن معبوديهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله
زلفى فهم لما كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره لم ينف عنهم
الفعل لوقوعه منهم ونفى الوصف لان من عبد غير الله لم يكن ثابتا
على عبادة الله موصوفا بها فتأمل هذه النكتة البديعة كيف
تجدني طيها انه لا يوصف بانه عابد لله وعبده والمستقيم على
عبادته الا من انقطع اليه بكليته وتبتل اليه تبتيلا لم يلتفت الى
غيره ولم يشرك به احدا في عبادته وانه ان عبده واشرك به غيره فليس
عابدا لله ولا عبدا له وهذا من اسرار هذه السورة العظيمة
الجليلة التي هي احدى سوريتي الاخلاص التي تعدل ربع القرآن
كما جاء في بعض السنن وهذا لا يفهمه كل احد ولا يدركه الا
من منحه الله فهما من عنده فله الحمد والمنة انتهى كلامه رحمه الله تعالى
واما الاخلاص فحقيقته ان يخلص العبد لربه في اقواله
وافعاله وارادته ونيته وهذه هي الحنيفية ملة
ابراهيم صلى الله عليه وسلم التي امر الله بها عباده كلهم لا يقبل الله من احد
غيرها وهي حقيقة الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وهي ملة ابراهيم
التي من يرغب عنها فهو اسفه السفها ومن يرغب عن ملة ابراهيم

الا من

الامة سفه نفسه وقد تظاهرت دلايل الكتاب والسنة واجماع الامة
على اشتراط الاخلاص للاعمال والاقوال الدينية وان الله لا يقبل الا
ما كان خالصا له وابتغى به وجهه ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون
غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم وبروز الاخلاص اعز الاشياء واشقها
على النفس وذلك لمعرفتهم بالله وما يجب له وبعلل الاعمال وافاتها
ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم وانما يهمهم سلامة العمل وخلوصه
من الشوائب المبطلة لثوابه او المنقصة له قال الامام احمد
رحمه الله تعالى امر النية شديد وقال سفيان الثوري
ما عالجت شيئا اشد علي من نيتي لانها تتقلب علي وقال ابو سليمان
بن اسباط تخليص النية من فسادها اشد على العاملين من طول
الاجتهاد وقال سهل بن عبد الله ليس على النفس شيء اشق
من الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين
اعز شيء من الدنيا الاخلاص وكم اجتهد في اسقاط الرياء من قلبي
وكان ينبت فيها على الوان اخر فيجب على من نصح نفسه ان يكون
اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه
بكل شيء لان الاعمال بالنيات وكل امرئ ما نوى واما ما بين الثلاثة
من العموم والخصوص وهل هو وجهي او مطلق فقد
قدمنا ان العبادة من حيث هي اعم من توحيد العبادة عموما مطلقا
وان العبادة المطلوبة شرعا هي نفس توحيد العبادة ودل
كلام ابن القيم رحمه الله تعالى على ان توحيد العبادة اعم من الاخلاص حيث قال

• هذا وثانيء نوعي التوحيد • توحيد العبادة منك للرحمان •
• ان لا تكون لغيره عبدا ولا • تعبد بغير شريعة الايمان •

• فتقوم بالاسلام والايمان والا • حسان في سر وفي علان •
• والصدق والاخلاص ركنا ذا • لك التوحيد كالركنين للبنيان •
• وحقيقة الاخلاص توحيد الذي • بجلاله اجمه مراد ثان •

الى ان قال

• والصدق توحيد الارادة وهو بل • بعض المجد لا كملا والمتوان •
• والسنة المثلى لسالكها فتو • حد الطريق الاعظم السلطان •
• فلواحد كن واحدا فيه واحد • اعني سبيل الحق والايمان •

فقوله رحمه الله تعالى والصدق والاخلاص ركنا ذلك التوحيد جعل الاخلاص احد ركني توحيد العبادة والصدق ركنه الاخير وفسر الصدق بما ذكر وقال في بعض كلامه ومقام الصدق جامع للاخلاص والعزم فباجتماعهما يصح له مقام الصدق ففرقنا رحمه الله ان توحيد العبادة اعم من الاخلاص ولم يذكر الاعم مطلقا واما العموم الوجهي فالظاهر ان المراد به اذا كان احد الشيئين اعم من وجه واخص من وجه والعموم الذي بين مطلق العبادة وتوحيد العبادة وبين توحيد العبادة والاخلاص مطلق لا وجهي والله اعلم فقوله رحمه الله فلو احد كن ركني الصدق وهو توحيد الارادة وقوله في واحد اراد به توحيد الطريق والله اعلم واما الاله فهو الذي تالهه القلوب بالمحبة والخضوع والخوف والرجاء ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والاستعانة والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع انواع العبادة الظاهرة والباطنة فهو اله بمعنى مالوه اي معبود واجمع اهل اللغة ان هذا معنى الاله قال الجوهري اله بالفتح الاهة اي عبادة

قال رحمه

قال ومنه قولنا اسه واصله الاه على فعال بمعنى مفعول لانه مالوه
بمعنى معبود كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لانه مؤتم به قال
والتاليه التعبيد والتاله التنسك والتعبد قال رؤبة سبحن واسترجعن
من تاله انتهى وقال في القاموس الله الاهة والوهة والوهية عبد
عبادة ومنه لفظ الجلالة واختلف على عشرة اقوال يعني في لفظ الجلالة
قال واصله الاه بمعنى مالوه وكلما اتخذ معبودا اله عند متخذه قال
والتاله التنسك والتعبد انتهى وجميع العلماء المقارئ وشراح
الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بانه المعبود واما غلط
في ذلك بعض ائمة المتكلمين فظن ان الاله هو القادر على الاختراع
وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش اذا تصوره العاقل تبين
له بطلانه وكان هذا القايل لم يستحضر ما حكاه الله سبحانه عن المشركين
في مواضع من كتابه ولم يعلم ان مشركي العرب وغيرهم يقرون بان
الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون ومن ابعد الاشيا
ان عاقلا يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلا ونهارا
سرا وجهارا هذا ما يفعله من له ادنى مسكة من عقل قال
ابو العباس رحمه الله تعالى وليس المراد بالاله هو القادر على الاختراع كما ظنه
من ظنه من ائمة المتكلمين حيث ظن ان الالوهية هي القدرة على الاختراع
واذا اقر بان الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد ان لا اله
الا الله فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد كما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون الايات وقال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
قال ابن عباس تسالهم من خلق السموات والارض فيقولون الله ومع
هذا يعبدون معه غيره وهذا التوحيد من التوحيد الواجب
لكن لا يحصل به الواجب ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذي هو اكبر

الكبائر الذي لا يغفره الله بل لابد ان يخلص لله الدين فلا يعبد الا اياه
فيكون دينه لله والاله هو المالوه الذي تالهه القلوب فهو اله
بمعنى مالوه لا بمعنى اله انتهى وقد دل صريح القرآن على معنى
الاله وانه هو المعبود كما في قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه
اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة
باقية في عقبه قال المفسرون هي كلمة التوحيد لا اله الا الله باقية
في عقبه اي ذريته قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده
والمعنى جعل هذه الموالات والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية
في ذرية ابراهيم يتوارثها الانبياء واتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة
لا اله الا الله فتبين ان موالات الله بعبادته والبراءة من كل معبود
سواه هو معنى لا اله الا الله اذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئا من انواع
العبادة المتقدم تعريفها كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء
والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير واتخذه
الها واشرك مع الله في خالص حقه وان فزع من تسميته فعله ذلك تالها
وعابدا وشركا ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير
بتغير اسمائها فلو سمى الزنا والربا والخمر ونحوها بغير اسمائها لم يخرجها
تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرا ونحو ذلك ومن المعلوم ان الشرك
انما حرم لقبحه في نفسه وكونه متضمنا مسبة الرب تعالى وتنقصه وتشبيهه
بالمخلوقين فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه كتسميته توسلا
وتشفعا وتعظيما للصالحين وتوفيرا لهم ونحو ذلك فالمشرك مشرك
شاء ام ابى كالزاني زان شاء ام ابى والمرائي مراء شاء
ام ابى وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان طائفة من امته يستحلون الربى
باسم البيع وسيستحلون الخمر باسم اخر غير اسمها وحكم على ذلك فلو كان

الحكم

الحكم دائر مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذم وهذه من اعظم
مكائد الشيطان لبني آدم قديما وحديثا حيث اخرجهم الشرك في
قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم وغير اسمه بتسميته اياه توسلا
وتشفعا وتحو ذلك والله الهادي الى سواء السبيل واما تفسير
الطاغوت فهو مشتق من طغى وتقديره طغوت ثم
قلبت الواو الفا قال النحويون وزنه فعلوت والتاء زائدة قال
الواحدي قال جميع اهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله يكون
واحدا وجمعا ويذكر ويؤنث قال الله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
وقد امروا ان يكفروا به فهذا في الواحد وقال تعالى في الجمع والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وقال في المؤنث
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها قال وتثليثه في الفلك يكون الاسماء ج
واحدا وجمعا ومذكرا ومؤنثا قال النووي قال الليث وابو
عبيدة والكسائي وجماهير اهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله
وقال الجوهري الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلالة
وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف كل ما عبد من دون الله
فهو طاغوت وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير
من المفسرين الطاغوت الشيطان قال ابن كثير وهو قول قوي جدا
فانه يشمل كل ما كان عليه اهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتحاكم اليها
والاستنصار بها وقال الواحدي عند قوله تعالى يؤمنون بالجبت
والطاغوت كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت قال ابن
عباس في رواية عطية الجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام
الذين يكونون بين ايديهم يعبرون عنهم الكذب ليضلوا الناس
وقال في رواية الوالبي الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال
بعض السلف في قوله سبحانه يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت انه

كعب بن الاشرف وقال بعضهم حيي بن اخطب **وانما** استحقا هذا
الاسم لكونهما من رؤس الضلال ولافراطهما في الطغيان **واغوائهم**
الناس وطاعة اليهود لهما في معصية الله وكل من كان بهذه
الصفة فهو طاغوت **قال** ابن كثير رحمه الله عند قوله يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت لما ذكر ما قيل انها نزلت فيمن طلب التحاكم
الى كعب بن الاشرف او الى حكام الجاهلية وغير ذلك قال والاية
اعم من ذلك كله فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم
الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ها هنا فتحصل
من مجموع كلامهم رحمهم الله **ان اسم الطاغوت**
يشمل كل معبود من دون الله وكل راس في الضلالة يدعو الى الباطل
وبحسبه ويشمل ايضا كل من نصب نفسه للحكم بين الناس باحكام الجاهلية
المضادة لحكم الله ورسوله **ويشمل ايضا** الكاهن والساحر وسدنة
الاوثان والداعي الى عبادة القبور بما يكذبون به من الحكايات
المضلة للجهال الموهمة الى المقبور ونحوه تقضى حاجة من توجه
اليه وقصده وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب او من فعل الشياطين
ليوهموا الناس انه للمقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده فيوقعوهم
في الشرك الاكبر ونوابعه **واصل** هذه الانواع كلها واعظمها
الشيطان فهو الطاغوت الاكبر والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك مسلكه **حرر** في بهدينة وسلم تسليما كثيرا